برنامج (قرآنهـم) - الحلقة الأولى / المقدمة الجزء الاول

الاحد : 1 شهر رمضان 1438هـ الموافق : 2017/5/28م

✤ هذهِ الحلقة والحلقة التي تَليها بِمثابة مُقدّمة توضيحية لِهذا البرنامج، وأظنُّ أنّ مَطالب مُهمّة سأعرضُها في هاتين الحَلقتين، وإذا ما احتجتُ إلى حلقة ثالثة فلربّما أُكمِل الحديثَ فيها.. وبَعد ذلك سأبدأ بِما أتمكّن مِن بيان وتوضيح لِما يسع هذا البرنامج أن أتناوله فيما يَرتبط بِسورة الأعراف.. وستأتينا سُور أُخرى مِن سُور القرآن إن شاء الله.

✤ هذا البرنامج الذي عنونتُهُ بهذا العنوان "قُرآنهم" هو مُلحَق مِن مَلاحق برنامج [الكتاب الناطق] الذي يُمثّل الجزء الثالث مِن برنامج كبير طرحتهُ على أجزاء اسمه [ملفّ الكتاب والعِترة] موجود على الانترنت وعلى موقع زهرائيون.. وقد بيّنتُ في نِهاية برنامج [الكتاب الناطق] أنّ مُلحقَين سيكونان في برنامج [الكتاب الناطق] هُما:

- الأوّل: قُرآنهم.. وهو هذا البرنامج، وهذهِ أولى حَلَقاتِه.
- الثاني: برنامج [لُباب الزيارة الجامعة الكبيرة]. وهذا البرنامج سيُعلن عنه في وقتهِ إذا ما سَنَحتْ الظروف المُناسبة.

✤ حلقات برنامج "قرآنهم" ستستمر.. ولكن ليس بالضَرورة أن تستمرّ بشكلٍ مُتواصل بعد شهر رمضان، وإنّما ستكون هُناك مَواسم ومُناسبات لإكمال ما يُمكن أن أُكمِله من هذا البرنامج.

✤ نُقطة أُخرى أُريد أن أُشير إليها وهي جوابٌ لِسؤالين:

- السؤال الأوّل: لِماذا هذا البرنامج (قرآنهم)..؟
- السؤال الثاني: لِماذا هذا العنوان للبرنامج..؟

وأقول:

لن أذهبَ بكم بعيداً.. فقد أجبتُ عن هذا السؤال مِراراً وكِراراً.. ولكن أقول: إنّها الساحة الثقافيّة الشيعيّة المريضة التي اختُرِقتْ بالفِكْر الناصبي وبأيدٍ شِيعيّة. الساحة الثقافيّة الشيعيّة تُعاني مِن مُشكلة كبيرة في الثقافة القرآنية.

✪ نظرة فاحصة سريعة في أجوائنا القرآنية:

■ على مُستوى (الترتيل والتجويد والقراءة والأصوات والمقامات) فالشيعة تابعون ومُقلّدون لِمُخالفي أهل البيت.. وهذه القضيّة واضحة، فأفضلُ قُرّآئنا هُم مُقلّدون للمُخالفين.

■ أيضاً على مُستوى المُناسبات والمُؤسسات القرآنية والمحافل والجوامع القرآنية أيضاً هناك تقليد واضح لِما يَجري عند مُخالفي أهل البيت وهذهِ القضيّة واضحة على الفضائيات وحتّى في روضاتنا المُقدّسة، وأيضاً في المساجد والحُسينيّات.

■ على مُستوى التثقيف القرآني في برامج الفضائيات أو فيما يُطبَعُ مِن دراسات وحتّى مِن كراريس صغيرة مُوجزة وما يُدرّس في مَدارسنا الأكاديمية أو في مَدارسِنا الأكاديمية أو في مَدارسنا الدينية ثقافةٌ قرآنية مُخالفةٌ لأهل البيت بامتياز.

■ على مُستوى تفاسيرنا وموسوعاتنا القرآنية التي كتبها مراجعنا وفُقهاؤنا.. فهي عبارة عن خليط ليس مُتجانس أبداً.. عبارة عن شيء من حديث العترة مع الكثير من الآراء الشخصيّة لنفس المرجع أو المُفسّر، مع ركام هائل مِن الفِكْر الناصبي!

مَن كان مُهتّماً كي يَعرف حقيقة ما أقول، فليُقارن بين أحاديث أهل البيت التفسيرية وبين ما كَتبه علماؤنا ومراجعنا في كُتب تفسيرهم.. سيجد هناك مُنافرة ومُخالفة واضحة لِذوق أهل البيت.

ويتجلّى هذا في منابرنا الحُسينية.. فخُطباء المِنبر الحسيني - في الأعمّ الأغلب - ما يَطرحونهُ مِن تفسير لآيات الكتاب الكريم يأخذونه مِن كُتب التفسير هذهِ باعتبار أنّها كُتب مَراجعنا وفقهائنا ومُفسّرينا وهي في الحقيقة لا تمتّ إلى فكر أهل البيت "صلواتُ الله عليهم بِصلة!

علماً أنّه مَن أراد أن يَعرف الحقيقة فلا يَعتمد على قولي، ولكن عليه أن يُراجع الأحاديث التفسيرية لأهل البيت عليهم السلام، وأن يُراجع ما كتب مراجعنا وفقهاؤنا في تفاسيرهم.. وبعد ذلك يُتابع ما يُعرَض على الفَضائيات وما يُنشر في المساجد والحُسينيات مِن حديث يُطرح على المِنبر الحسيني مِن قِبل كبار الخطباء وسيجد كلامي واضحاً جليّاً على أرض الواقع.

(هذا جوابٌ للسؤال الأوّل: لِماذا هذا البرنامج).

✪ أمّا إجابة السؤال الثاني: لِماذا هذا العنوان "قرآنهم" للبرنامج؟ فأقول:

حِين كانت قناة المودّة الفضائيّة تبثّ برامجها.. كُنت قد قدّمتُ فيها برنامجاً بالبثّ المُباشر أيضاً عنوانه "قرآننا" وهنا أقول:

هذا العنوان "قرآننا" لن يَصح ما لم نعتقد أنّ القرآن حقيقةً هو قرآنهم "صلوات الله عليهم".. وإنّما صار قُرآننا لأنّنا في فنائهم، فنحنُ عبيدهم "عليهم السلام" كما نُخاطِب سيّد الشهداء "عليه السلام" في زِيارتهِ الشريفة - والخِطاب لهم جميعاً - فنقول: (عبدُكَ وابنُ عبدكَ وابنُ أَمَتكَ المُقرّ بالرقّ، والتاركُ للخلاف عليكم)

هذهِ الحقيقة هي التي تُشخّص إيماننا.. ولن يكون القرآن قُرآننا ما لم نعتقد وبشكلٍ واضح أنّ القرآن قُرآنهم (قُرآن مُحمّد وآل محمّد فقط وفقط).

✤ الناس تشعّبوا .. فهناك اتّجاهات ثلاثة على أرض الواقع:

■ اتّجاهٌ قال: حسبُنا كتاب الله، وذهبوا بعيداً.

■ اتّجاهٌ قال : إنّنا نتمسّك بالثَقَلين (الكتاب والعترة) قالوا ذلك على مُستوى الكلام فقط، وهذا هو واقعنا الشيعي.. فحين نتفحّص الحقيقة نجدهم كالمجموعة الأولى.

■ واتّجاهٌ ثالث لا وُجودَ له بشكل عملي على أرض الواقع.. هو موجودٌ في أحاديث العترة، خُصوصاً الأحاديث التفسيرية والتي تعرّضتْ لحربٍ شعواء من قِبَل فقهاء الأمّة وزعماء الطائفة.

فهذهِ جوامع الأحاديث التفسيريّة الواردة عن أهل البيت قد ضُعّفت، و حُرّفتْ، و هُجرتْ، و حُوربتْ، شُوّهتْ سُمعتها، واستُهزئ بها على المنابر وفي الدروس الحوزويّة وفي كتب التفسير. سخر الكثير من الرموز المعروفة من أحاديث أهل البيت التفسيرية.. والشيعة تُصفّق لِذلك! وحينما يُطرح حديث أهل البيت تُحاربه الشيعة في حُسينيّاتها وفي مَواكبها وحتّى في بُيوتهم يَردّون على حديث العترة ويُصفّقون للفكر الناصبي لأنّ الخطيب الفلاني قد طرحه، والمرجعيّة تُؤيّد هذا الخطيب! فأين أهل البيت هنا؟ هل يُؤيّد أهل البيت هذا المنطق؟ أين إمام زمانكم هنا؟

■ سؤالٌ أطرحه عليكم:

هل أنتم مُتأكّدون أنّ إمام زمانكم هو راضٍ عن كلّ هذه المفردات التي أشرتُ إليها قبل قليل في أجواء الثقافة القرآنية (مِن قراءةٍ، تجويدٍ، مَحافل، كُتب، تدريس، برامج)..؟ وما هو دليلكم على ذلك إذا كُنتم مُتأكّدين؟

إذا كان هناك مِن دليل بين أيديكم فهو أن تُثبتوا أنّ هذهِ المُفردات مُوافقة لِحديثهم "عليهم السلام".. ووالله إنّ هذهِ المفردات مُخالفة لِحديثهم 100%! ودُونكم كُتب حديث أهل البيت.. ارجعوا إليها وقارنوا بأنفسكم بين ما هو موجود في كُتب حديث أهل البيت وبين ما هو موجود في كُتب التفسير لمراجعنا وعلمائنا.. ستجدون كلامي واضحاً صريحاً.

● مُشكلتُكم أنّ المؤسسة الدينية والمرجعيّة الشيعية هي التي أوقعتكم في هذه الطامّة.. فقد اعتمدتم مَصادرها، ورجعتم إلى كُتبها، وصفّقتم لِخطبائها وهم يستهزؤون بحديث العترة وأنتم يُطربكم ذلك - كما يبدو -!

✤ الجريمة التي أُرتُكِبتْ في ساحة الثقافة الشيعية بحقّ القرآن هو عدم الالتزام بشروط بيعة الغدير من قِبَل فقهائنا ومراجعنا.

■ أهمّ الشروط التي اشترطها النبيّ الأعظم في بيعة الغدير: هو أنّنا لا نأخذ التفسير إلّا مِن عليّ، فهل وفت الشيعة لعليّ بهذا الشرط وهذا العهد؟!

هذهِ كُتب فُقهائنا ومراجعنا تشهدُ بشكل واضح مِن أنّها نقضتْ هذا الشرط.. فهذهِ كُتب فقهائنا ومراجعنا مِن زمان الشيخ الطوسي وإلى يَومنا هذا تُخالف حديث العترة ومنهجهم.

■ ما جاء في تفاسير علمائنا - في الأعمّ الأغلب - مُخالفٌ لمنهج محمّد وآل محمّد.. إنّهم يحذون حذو أعداء أهل البيت.. علماً أنّي لا أعتقد أنّهم يفعلون ذلك بسوء نيّة، وإنّما هو تراكم الجهل المُركّب عِبْر السنين.. وهذه هي آثار الصنميّة والتقديس للرموز الكبيرة التي اخترقها الفكر الناصبي فِكرياً وعقائدياً حين كرعوا في الفِكْر الناصبي.. منهم مَن تعلّم مُنذ الصِغَر، ومِنهم مَن تأثّر في الكِبَر!

(من أراد أن يطّلع على هذا الموضوع فليُراجع مَلَف التنزيل والتأويل، وليُراجع من ملف الكتاب والعترة برنامج [الكتاب الناطق]..)

■ فالجريمة الكُبرى التي ارتُكبتْ في ساحة الثقافة الشيعية فيما يرتبط بثقافتنا القرآنية هي عدم الوفاء لعليّ بشروط وأركان بيعة الغدير، وبشرطها الأهمّ حِين اشترط خاتم الأنبياء أن لا نأخذ تفسير القرآن إلّا مِن عليّ فقط لبديهةٍ واضحة وهي قول أبي الزهراء "صلّى الله عليه وآله":

(عليٌّ مع القرآن والقرآن مع عليّ). فلا يُؤخذ التفسير إلّا مِن عليّ. ولكن ماذا فعلت الأمّة الشيعية؟ ماذا فعل فُقهاؤنا ومراجعُنا ومُفكّرونا..؟ الذي فعلوه هو أنّهم أعرضوا عن عليّ، وراحوا يكرعون في تلك العيون الكدرة، وتركوا العيون الصافية!

● قد يسأل سائل، فيقول: للجريمة سِلاح.. فما هو سلاحهم في هذهِ الجريمة؟

وأقول: لهذهِ الجريمة أسلحة وأسلحة، ولكنّ السلاح الواضح في هذه الجريمة هو ما يُسمّى بـ(علم الرجال) فهو الذي ذبحَ الأحاديث التفسيريّة وحطّمها وأزالها بالكامل من ساحة الثقافة القرآنية الشيعية.
علم الرجال هو السلاح الأهم في هذهِ الجريمة.. والجريمة هي: تركُ حديث العترة الطاهرة!

✤ جولة في آياتِ الكتاب الكريم مِن خلالها نستطيع أن نعرف موقف القرآن من هذا العنوان الخبيث (علم الرجال الناصبي القذر).

■ نقرأ في آخر سُورة يُوسف: {لقد كان في قَصَصِهم - أي قصص الأنبياء - عِبرةٌ لأولي الألباب}
وفي أوائل سُورة يُوسف نقرأ قولهِ تعالى: {نَحنُ نقصُّ عليكَ أحسن القَصَص} قَصَصُ القُرآن أحسنُ القَصَص، وأحسنُ هذهِ القصص هي قصص الأنبياء، وفيها عِبرة لأولي الألباب.

■ في سُورة الزُمر إشارة أيضاً لنفس هذا المضمون "أحسن القصص" إذ نقرأ: {فبشّر عبادِ* الذين يستمعونَ القَول فيتّبعونَ أحسنهُ أولئك الذين هداهمُ اللهُ وأولئكَ هُم أولوا الألباب}. قطعاً أحسنُ القصص مِن أحسن القول.

● قصص القرآن وقصص الأنبياء بنحوٍ خاص وبنحوٍ أخصّ هي علائم في سَيرنا، وكذلك أمثالُ القرآن.. وأمثالُ القرآن هي على أنحاءٍ وأحناء.

✤ وقفة نرى فيها ماذا يُحدّثنا القرآن عن أمثال القرآن.

■ في سُورة الإسراء الآية 89: {ولقد صرّفنا للناس في هذا القرآن من كلّ مَثَلٍ فأبى أكثرُ الناس إلّا كُفورا} وأمثالُ القرآن منها قصص حقيقيّة وقصص الأنبياء من هذا القِسم.. ومنها قصص تصويريّة تُقرّب المعنى (لوحةً فنيّة أدبيّة لتقريب صورة الموضوع الذي يُريد القرآن أن يُحدّثنا عنه)، هؤلاء الذين أبو إلّا كُفورا هم الذين لم ينسجموا مع أمثال القرآن ومع قَصص الأنبياء.

■ في سورة الكهف نقرأ : {ولقد صرَّفنا في هذا القرآن للناس مِن كلّ مَثَلٍ وكان الإنسانُ أكثرَ شيءٍ جَدَلا}

■ في سورة العنكبوت آية 43 {وتلك الأمثال نضربُها للناس وما يعقِلها إلّا العالمون} هناكَ عقلٌ وهناك عِلْمٌ.. ونَحنُ بحاجة إلى عقْلٍ وإلى عِلْم، وإلى تفعيل هذين الرُكنين كي ننتفع مِن هذا الكتاب الكريم ومِن أمثالهِ ومِن قصصهِ.

■ في سورة الحشر آية 21 {لو أنزلنا هذا القرآن على جَبَلٍ لرأيتَهُ خاشعاً مُتصدّعاً من خشية الله وتلكَ الأمثالُ نضربُها للنّاس لعلّهم يتفكّرون}

✤ سأنقل لكم صُور من الكتاب الكريم تكون أمثلةً ونماذج لِما ذكرتُهُ قَبْل قليل (أحسن العِبَر، أحسن القصص، أحسن الأمثال...) التي تحتاجُ إلى عقلٍ وعِلْمٍ يُفعّلان معاً لإدراكها.

✪ وقفة عند هذهِ الآيات مِن سُورة الأعراف..: {فوسوس لهما الشيطان ليبدي لهما ما ووري عنهما من سواتهما وقال ما نهاكما ربّكما عن هذهِ الشجرة الّا أن تكونا مَلَكينِ أو تكونا من الخالدين} إلى أن تقول الآيات: {وقاسَمَهُما إنّي لكُما لَمِن الناصحين* فدلّاهُما بغُرور فلمّا ذاقا الشجرة بَدتْ لهُما سَوآتهما وطَفِقا يَخصفانِ عليهما مِن ورق الجنّة وناداهُما ربّهما ألم أنهكُما عن تِلكما الشجرة وأقُل لكما إنّ الشيطان لكما عدوٌ مُبين* قالا ربّنا ظلمْنا أنفُسنا وإنْ لم تغفرْ لنا وترحمنا لنكُوننَّ مِن الخاسرين}

● معنى {قاسَمَهُما} مِن القَسَم، أي حَلَف لهما أيماناً (لأبينا آدم وأُمّنا حوّاء) ومعنى {فدلّاهُما بغُرور} يعني خدعهما وغرّهما.

■ الروايات تُحدّثنا أنّ جبرئيل حِين سأل أبانا آدم - بعد أن أُنزِل إلى الأرض - لِماذا صدّقتَ إبليس؟ قال آدم: لقد حَلَف لنا، وما كُنت أظنُّ أنّ أحداً يَحلِفُ باللهِ كاذباً..! فالآية هُنا تُشير إلى هذهِ النُكتة الدقيقة {وقاسَمَهُما إنّي لكُما لَمِن الناصحين}

■ وقفة عند ما جاء عن إمامنا الصادق في [تفسير القمّي] بشأن هذهِ الآيات {وقاسَمَهُما إنّي لكُما لَمِن الناصحين} يقول عليه السلام: (لمّا أُخرِج آدمُ من الجنّة نزل عليه جبرئيل فقال: يا آدم أليسَ الله خلقكَ بيده، فنفخَ فيك من رُوحه وأسجدَ لكَ ملائكته وزوَّجك حوّاء أَمَتَهُ، وأسكنك الجنّة، وأباحها لكَ، ونهاك مُشافهةً أن لا تأكل مِن هذه الشجرة؟! فأكلتَ منها وعصيتَ الله! فقال آدم: يا جبرئيل إنَّ إبليس حَلَف لي بالله إنّه لي ناصح، فما ظننتُ أن أحداً من خَلْق الله يحلفُ بالله كاذباً)
مُشكلة أبينا آدم في تقييم المُتحدّث، في تقييم الناقل، هذهِ مُشكلة علم الرجال.. هي هي.
الله سُبحانه وتعالى قال له: {ويا آدم اسكن أنتَ وزوجك الجنّة فكُلا مِن حيثُ شِئتُما ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين} فجاء إبليسُ لأبيّنا وأُمّنا فحَلَف يَميناً لهما فوضعا مِيزاناً للتقييم مِن عند أنفسهم.. تلك هي قصّة علم الرجال مع آل محمّد!

■ نشأ علم الرجال عند النواصب وخُدِع بهِ عُلماؤنا ومزّقوا حديث أهل البيت.. الحكاية هي الحكاية
أبونا آدم وضع مِيزاناً مِن عندهِ، وهذا الميزان لا أصلَ له.. هذا الميزان هو: (أنّه ظنَّ أنّ مَن يَحلف باللهِ لا يُمكن أن يكون كاذباً)..
هذا الميزان جاء به أبونا آدم وأُمّنا حوّاء من عند أنفسهم.

جبرئيل يقول لآدم: يا آدم، إنّ الله حدّثكَ مُشافهةً وقال لكَ ما قال.. فكيف صدّقته؟ هُناك نصٌ عن الله وهناك نصٌ عن إبليس.. فكيف صدّقتَ إبليس؟

قَبِل آدم هذهِ النصوص من إبليس لأنّه وضع ميزاناً للتقييم مِن عنده، وهو ميزانٌ باطل.. فقد أوقعَ هذا الميزان آدم في المعصية وجعلهُ مُعتدياً على شجرةِ مُحمّدٍ وآل محمّد "صلواتُ الله عليهم".

● تذكّروا دائماً أنّ مُشكلة أبينا آدم وأُمّنا حوّاء في ميزان التقييم مِن عند أنفُسهم.. حين وضعوا مِيزاناً لتقييم الراوي وهو إبليس، ولتقييم الرواية ولم يعرضوا النصّ على ما أخبرهم به الله.. ومنهج أهل البيت "عليهم السلام" أنّهم قالوا: (اعرضوا حديثنا على القرآن) ولم يقولوا انظروا إلى الراوي.

إذا نظرنا إلى الراوي سنقع في نفس المأزق.. ومِن هُنا كان هذا العلم (علم الرجال) علماً ناصبياً لا علاقة لأهل البيت بهِ.

■ قصّة أبينا آدم قصّة رمزية عميقة الدلالة جدّاً.. إنّها قصّة الإنسان (إنّها حكايتُنا في الماضي والحاضر والمُستقبل).. سأتحدّث عنها حين نصِل إلى سورة الأعراف. آدم وقع في المعصية حين وضعَ ميزاناً مِن عنده لتقييم كلام إبليس ولم يعْرض كلام إبليس على كلام الله.. والقِصّة هي هي مع علمائنا ومراجعنا في رفضهم لأحاديث أهل البيت التفسيرية.

مُشكلتنا مع علم الرجال بدأتْ من إبليس، ومَن بقيَ مع علم الرجال سيبقى مع إبليس، وهناك ناطقان: ناطقٌ ينطق عن الله وناطق ينطق عن إبليس.. فأين تضعون علم الرجال؟! هل مع المنطق الشيطاني أم الرحماني؟

■ في نفس الآيات مِن سورة الأعراف: {وناداهما ربّهما ألم أنهكُما عن تِلْكُما الشجرة وأقُل لكما إنَّ الشيطان لكُما عدوٌ مُبين}

الحكايةُ هي الحكاية والقِصّة هي القصّة..آل محمّد بيّنوا لنا الموازيين وبيّنوا لنا الحقائق وحذّرونا مِن الفِكْر الناصبي، وأوضحوا لنا الطريق، ولكنّ عُلماءنا ومَراجعنا راحوا يركضون إلى المناهج المُخالفة لأهل البيت، وجاؤوا بعلم رجالهم وبقواعد حديثهم، وحطّموا الأحاديث التفسيريّة التي وردتنا عنهم "صلواتُ الله عليهم" لفهم القرآن ومعانيه ومضامينه. الأمر هو هو مع أبينا آدم وأُمّنا حوّاء.

✪ لقطة أخرى: من سورة هود آية 42 وما بعدها: {..ونادى نوحٌ ابنهُ وكان في مَعزل يا بنيَّ اركبْ معنا ولا تكنْ مع الكافرين* قال سآوي إلى جبل يعصِمُني من الماء قال لا عاصِمَ اليوم من أمْر الله إلّا مَن رَحِم وحال بينهما المَوج فكان مِن المغرقين} إلى أن تقول الآيات:

{ونادى نوحٌ ربّه فقال ربّ إنّ ابني مِن أهلي وإنَّ وعدك الحقّ وأنت أحكمُ الحاكمين}

نوح نبيٌ من أُولي العَزم.. أبو البشريّة الثاني، ورُغم ذلكَ قوله هذا هُو نموذج آخر مِن التقييم الخاطىء للأمور.. تقييم ليس بِمستوى الدقّة والصحّة.

إذا كان نبيٌ مِن أولي العَزم عاجزٌ عن أن يمتلكَ ميزان تقييم دقيق في هذهِ القضيّة.. فما بالك بِمراجعنا وعلمائنا وهُم يُقيّمون أشخاص لم يلتقوا بهم أصلاً اعتماداً على كُتبٍ لا ندري كيف كُتِبتْ وكيف وصلتْ إلينا؟!

■ هذا هو القصص القرآني.. مع الأخذ بعين الاعتبار أنّ نوح أفضل الأنبياء.. علماً أنّنا لا نُقايس أبداً بين الأنبياء وبين أهل البيت "عليهم السلام"..

فإنّ حمزة وجعفر هما الشاهدان للأنبياء يوم القيامة.. فلا وجه للمُقايسة بأيّ شكلٍ مِن الأشكال بين الأنبياء وبين محمّد وآل محمّد عليهم السلام.

(وقفة عند بعض آيات القرآن ومُقتطفات من زيارة الأمير وحديث العترة تُشير إلى أفضليّة نوح على جميع الأنبياء).

✪ في سورة يُوسف وفي قصّة يعقوب النبي.. جاء في القصّة المُفصّلة ذكر حادثة جرتْ لِيوسف النبي في أيّام طُفولتهِ.. وهي أنّ عمّته كانت شغوفةً جدّاً بهِ.. كانت تُحبّه وتُحبّ أن يبقى عندها في بيتها.. و بين مُدّةٍ وأُخرى كانت تأخذهُ معها في بيتها، ولكن لابُدّ أن يعود إلى أبيه.

اسحاق النبي والد يعقوب كان قد تركَ مَنطقةً - أي نوع من أنواع الأقمصة يُحزّم بها الإنسان - ووَرِثها يعقوب ووضعها أمانةً عند أُختهِ (التي هي عمّة يُوسف النبي).. وكان في قوانين ديانة بني إسرائيل أنّ مَن يسرق يبقى عبداً وخادماً عند الذي سَرَق.

يُوسف آنذاك كان صغيراً.. فجاءتْ عمّته وألبسته المنطقة تحت ثيابهِ.. وجاءتْ به إلى أهْلهِ، ثُمّ جاءتْ إلى بيت أخيها يعقوب وقالت: إنّ المنطقة قد سُرقتْ - أي هذا الحزام الذي هو مِن مواريث اسحاق - وجاءت وفتّشتْ يُوسف وقالتْ: إنّ يُوسف سَرقَ هذهِ المنطقة، فجزاؤه أن يعود إلى بيتها ويبقى عندها في خدمتهِ.. هي ما كانتْ تُريده أن يَخدمها، ولكن فعلتْ ذلك لأنّها كانت شغوفةً به.

ومرّت الأيّام والقصّة انكشفت بعد ذلك.. ولكن رُغم ذلك بقي إخوة يُوسف يتّهمون يوسف بالسرقة..!

فحينما جرتْ القصّة في مِصْر وجرى ما جرى على بنيامين حين طلب يُوسف أن يضعوا صواع الملك في رحل أخيه.. قال إخوته: {إنْ يسرق فقد سَرَق أخٌ له مِن قَبْل} يعني أنّ هذا التقييم لا زال موجوداً في أذهان إخوة يُوسف مع أنّهم قد أجرموا بحقّ يُوسف ما أجرموا، ويُوسف كان طِفلاً صغيراً آنذاك.. وهم من عائلة نبيّ، وأولاد نبي وكانوا معروفين بالذكاء والعلم!

فيُوسف في صِغَرِه اتُّهم بالسَرَقة، وبقيَ هذا التقييم عند إخوتِه مع ما فعله إخوتُه من خَطأٍ كبير في حقّ أخيهم يُوسف!

والقرآن يدعونا للاعتبار من القصص القرآني.. فهذهِ القصّة نستفيد منها أنّ مَوازين التقييم عند الناس ليستْ صحيحة..

❁ في سورة الأعراف آية 155: {واختارَ موسى قَومَهُ سبعين رَجُلاً لِميقاتنا فلمّا أخذتْهُم الرجفة قال ربّ لو شئتَ أهلكتهم من قبل وإياي أتُهلكُنا بما فعَلَ السُفهاءُ منّا إنْ هي إلّا فتنتكَ تُضلّ بها مَن تشاء وتَهدي مَن تشاء أنتَ وليُّنا فاغفرْ لنا وارْحمنا وأنتَ خيرُ الغافرين}. بنوا إسرائيل أرادوا دليلاً من موسى على أنّ موسى فعلاً هو كليم الله.. فاختار موسى مِن قومِه سبعين رَجُلاً كي يشهدوا معه في الميقات، وحينما ذهبوا مع موسى إلى المِيقات انقلبوا عليه..!

الروايات تقول أنّهم قالوا لِموسى لن نُؤمن حتّى نسمع كلام الله، فلّما سَمعوا كلام الله قالوا: إنّنا لا نُصدّق حتّى نرى الله جهرةً..!!!

المُشكلةُ في التقييم.. فهؤلاء هم خِيرة بني إسرائيل بِحسب تقييم موسى!!

❁ في سُورة الكهف.. في قصّة موسى والخِضْر.. قَولِه تعالى: {فلمّا جَاوزا قال لفَتاه آتِنا غَداءنا لقد لَقِينا مِن سَفَرنا هذا نَصَبا* قال أرأيتَ إذْ أوينا إلى الصَخرة فإنّي نسيتُ الحُوتَ وما أنسانيه إلّا الشيطانُ أن أذكُرَه واتّخذ سبيلَهُ في البَحْر عجباً* قال ذلك ما كُنّا نبغ فارتدّا على آثارهما قَصَصا* فوجدا عبْداً مِن عبادنا آتيناهُ رحمةً مِن عندنا وعلّمناه مِن لدنّا عِلْما* قال له موسى هل أتّبعُك على أن تُعلّمن ممّا عُلّمتَ رُشدا* قال إنّك لن تَستطيعَ معيَ صَبرا* وكيف تصبرْ على ما لم تُحط به خُبرا* قال ستجدني إنْ شاءُ الله صابراً ولا أعصي لك أمرا} إلخ الآيات..

المُشكلة هنا في أمرين: الأولى في التقييم.. والمُشكلة الثانية في أخذ الأمور على ظَواهرها، ما يُسمّى بـ(حُجيّة الظُهور اللّفظي) وهي القاعدة التي يُفسّر بها القرآن.. بينما آل محمّد "صلواتُ الله عليهم" وضعوا منهجاً آخر للتفسير.. (علماً أنّنا لا نُريد أن نرفض هذا الأمر جُملةً وتفصيلاً، ولكن الحديث عن الظهور اللّفظي (إن كان على مُستوى التفسير، أو على مُستوى الفهم العقائدي، أو مُستوى الأحكام الشرعيّة) فهذا الأمر لا يأخذ مساحة واسعة جدّاً عند أهْل البيت، ولكن في الواقع الشيعي ذهب فُقهاؤنا ومراجعنا في نفس الطريق الذي ذهب فيه المُخالفون، فصار الظهور العرفي هو المساحة الوحيدة التي يتحرّكون فيها في فهم القرآن وفي استنباط العقائد والأحكام كما هو الحال مع المُخالفين!!

✤ مُشكلة موسى هُنا أمرين:

- التقييم لِما حَدث.
- وفي عدم التعامل مع كلام الخِضْر وِفْقاً لِمعَاريض القول.

فإنّه واضح مِن لَحن قَول الخِضْر أنّه يُريد أن يَقول له: أنّك سَترى أشياء غَريبة بِخلاف ما اعتدتَ عليه.. فتحتاج أن تصبر عليها المُشكلة في تقييم الأحداث وفي تقييم الأشخاص، والفَهْم على الظواهر.. وهَذهِ المُشكلة هي الموجودة في واقعنا العلمي الديني.

✤ سأتناول بقيّة الصُور واللّقطات في حلقة يوم غد، ولكن أختم بهذين الحديثين:

- رواية الإمام الصّادق في [الكافي الشّريف: ج1] (باب الأخذ بالسّنة وشواهد الكتاب)

(قال رسول الله صلّى الله عليه وآله: إنّ على كلّ حقّ حقيقة، وعلى كلّ صواب نورا، فما وافق كتاب الله فخذوه وما خالف كتاب الله فدعوه)

- والرواية الثانية: عن ابن أبي يعفور عن الإمام الصادق عليه السلام: قال: سألته عن اختلاف الحديث يرويه من نثق به ومنهم مَن لا نثق به، قال: إذا ورد عليكم حديث فوجدتم له شاهداً من كتاب اللّه أو مِن قول رسول اللّه ، وإلّا فالذي جاءكم به أولى به)

هذه هي قاعدة أهل البيت في تمييز وتشخيص الأحاديث المشكوكة، وجّهونا إلى القرآن وإلى حديثهم. ولم يتحدّثوا عن علم الرجال وعن تقييم الرواة وتوثيق الرواة أبداً.